

بين عبدالحليم و مصطفى محمود

إن ما نفقده في أغاني هذا الأيام ، وأحاديث بعض المتدينين صدق الكلمة و حب الناس ، و عمق الإحساس. إن أغلب فناني هذه الأيام حينما تسمعه ، تجد أن كلمات الأغنية أعلى من فهمه و إدراكه و حسه ، و لذا يقول الموسيقار محمد الموجي في أحد لقاءاته : أن لديه ألحانا كثيرة لم تر النور لعدم وجود من يؤديها كما كان يغنيها عبدالحليم حافظ ،

نحن اليوم في عصر مادي ، به كل مقومات التقنية لكنه خاو من الروح و الصدق و الإحساس .

و في الطرف الآخر تجد بعض المتدينين من ليس لديه راحة الصدر و الإيمان بل تجده حرفي النص .

ليس هذا تشاؤم بالحياة و هروب من واقعها ، لكن لكل امرئ من دهره ما تعودا

نعم مطلوب من الإنسان أن يعيش اللحظة ، لكن ما ذنبي إذا كانت هذه اللحظة ولدت ميتة ، و اللحظة الراحلة بقيت حية في وجداني؟!

فأيهما أقدم ؟!

هناك أصوات إذاعية معبرة ، و هناك وجوه صامته معبرة ، لكن العبقرية حينما يعبر الوجه و الصوت مجتمعين عن الروح و المشاعر و الأحاسيس ، فلا يكاد يتشتت جزء منك عن الآخر و هنا عندي علمان بارزان قد رحلوا عن عالمنا .

حينما تستمع إلى عبدالحليم و هو يغني تشعر بشعور جميل مفرح مبكي، كأنه واقف أمامك حي بطلته و ابتسامته و صوته ، يعيد إليك ذلك الزمن الجميل الذي مضى ، فنان متناغم مع كل ما حوله بدون استثناء سواء من العازفين أو الحضور ، يوزع ابتساماته على كل من حضر ، إنسان بحضوره و أداءه و رقيه ،

في تعابير وجهه حزن عميق و حب دفين قد تعثر و خوف من المستقبل ، خائف يريد أن يحيا كل لحظة في حياته قبل أن ترحل ، _ ترى هل أثر تشاؤمه على قصر عمره؟! □ أعلم - أعطى الفن كل حياته و لم تعطه الحياة شيئا ، فنان يرسم بصوته اجمل صورة فنية ، إحساس عميق بكل كلمة يقولها ، دقيق في طريقة أدائه ، فمما يؤثر عنه أنه كان يعيد الكلمة مرات و مرات لتأتي معبرة عن مكنونه الداخلي ، بل أحيانا يستأذن الشاعر كنزار قباني مثلا في أن يستبدل كلمة بكلمة أخرى لتتناغم مع تعبيره و إحساسه ، فنان مستفز لكل فنان في وقته و لمن جاء بعده ، ذكي بكل ما تعنيه الكلمة ، لا تمل منه رغم طول بعض أغانيه ، يبدأ هادئا ثم يخلق بك في سماء مشاعره و احاسيسه ثم يرجع إلى حيث كان ، رغم قصر العمر الذي عاشه عبدالحليم 47 سنة ، إلا تجربته عميقة و غنية تشعرك بأنه عاش أكثر من ذلك ، و ما

الحياة الحقيقة للإنسان إلا التي يحياها بعمق كما يشاء لا كما ترسم له ، و كما قال جبران خليل جبران : "لا تعيش نصف حياة " ، و أن تحيا حياة قصيرة بعمق خير من حياة ميتة طويلة مملة ، و من قبيل المصادفات ان جبران عاش 41 سنة لكن بتجربة من عاش 100 سنة . و كأن هؤلاء رحلوا من الحياة ليعيشوا في قلوبنا أياما عديدة و ازمنا مديدة .

بالمقابل نستمتع لمشاهدة الدكتور مصطفى محمود رحمه الله ، ذلك الوجه المعبرة عن روح المتنك الصوفي الذي رسي على شواطئ الإيمان بعد رحلة شاقة منهكة في سماء الفكر ، يربط العلم الحديث بالإيمان ، و هو بالفعل مسافر مرّ في تطوافه ببحور الشك و عبر بحارها إلى دنيا الله ، حينما تشاهده ، تشعر بالراحة و الطمأنينة فهو بمثابة الماء على الظمأ لمن خاض وعورة دروب الشك ، مصطفى محمود ذلك الهادئ الموقن بربه الذي خبر تلك الدروب الشاقة و الصحاري الملتهبة و البحار المظلمة ، و عاد سالما معافى ، يسري صوته في القلوب برغم هدوءه ، مفكر لا تحده حدود لا تلكاً لديه و لا خوف إلا من الله ، رؤيته توحى لك بمدى صدقه و ورعه و إيمانه ، هكذا أشعر حينما استمع إليه و أرى ذلك الوجه المعبر

لا غرابة حينما اربط بين هذين العلمين علم في الفن و علم في الإيمان لوجود الصدق و تفاني الروح و تعابير الوجه